

ولاية الأمر دراسة فقهية مقارنة

الظَّالِمَةَ تَأْمَنُونَ، كُلُّ ذَلِكَ مِمَّا أَمَرَ كُمْ بِالْهُيِّ
وَالْتَّيَّاهِي وَأَنْزَلْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ، وَأَنْزَلْتُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ مُصِيبَةً لِمَا
غَلَبْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ مَنَازِلِ الْعُلَمَاءِ لَوْ كُنْتُمْ تَسْمَعُونَ. ذَلِكَ بَأَنَّ
مَجَارِي الْأُمُورِ وَالْأَحْكَامِ عَلَى أَيْدِي الْعُلَمَاءِ بِالْإِثْمِ، الْأُمْنَاءِ عَلَى حَالِهِ
وَحَرَامِهِ، فَأَنْزَلْتُمْ الْمَسْلُوبُونَ تِلْكَ الْأَمْنَةَ، وَمَا سَلَبْتُمْ ذَلِكَ إِلَّا
بِتَفَرُّقِكُمْ عَنِ الْحَقِّ، وَاخْتِلَافِكُمْ فِي السُّنَّةِ بِعَدَدِ الْبَيِّنَاتِ
الْوَاضِحَةِ، وَلَوْ صَدِرَتْكُمْ عَلَى الْأَذَى، وَتَحَمَّلْتُمْ الْأُمُورَ فِي ذَاتِ الْإِثْمِ،
كَانَتْ أُمُورٌ بِالْإِثْمِ عَلَيْكُمْ تَرُدُّ، وَعَنْدَكُمْ تَصَدُّرٌ، وَإِلَيْكُمْ تَرْجِعُ،
وَلَكِنَّكُمْ مَكَّنْتُمْ الظَّالِمَةَ مِنْ مَنَزِلَتِكُمْ، وَأَسْلَمْتُمْ أُمُورَ الْإِثْمِ فِي
أَيْدِيهِمْ، يَعْملُونَ بِالشُّبُهَاتِ، وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ، سَلَطَهُمْ عَلَى ذَلِكَ
فِرَارُكُمْ مِنَ الْأُمُورِ، وَإِعْجَابُكُمْ بِالْحَيَاةِ الَّتِي هِيَ مُفَارِقَتُكُمْ،
فَأَسْلَمْتُمْ الضُّعْفَاءَ فِي أَيْدِيهِمْ، فَمِنْ بَيْنِ مُسْتَعْبِدِ مَقْهُورٍ، وَبَيْنِ
مُسْتَضْعَفٍ عَلَى مَعِيشَتِهِ مَغْلُوبٍ، يَتَقَلَّبُونَ فِي الْمُلْكِ بِآرَائِهِمْ،
وَيَسْتَشْعِرُونَ الْخِزْيَ بِأَهْوَائِهِمْ، اِقْتِدَاءً بِالْأَشْرَارِ، وَجُرْأَةً عَلَى
الْجَبَّارِ، فِي كُلِّ بَلَدٍ مِنْهُمْ عَلَى مَنْبَرِهِ خَطِيبٌ مُصَفَّعٌ، وَالْأَرْضُ لَهُمْ
شَاغِرَةٌ، وَأَيْدِيهِمْ فِيهَا مَبْسُوطَةٌ، وَالنَّاسُ لَهُمْ خَوْلٌ لَا يَدْفَعُونَ يَدَ
لَامِسٍ، فَمِنْ بَيْنِ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَذِي سَطْوَةٍ عَلَى الضُّعْفَاءِ شَدِيدٍ، مُطَاعٍ لَا
يَعْرِفُ الْمُبْدِيَةَ وَالْمُعِيدَةَ، فَيَا عَجَبًا، وَمَالِي لَا أَعْجَبُ وَالْأَرْضُ مِنْ
غَاشٍ غَشُومٍ وَمُتَمَدِّقِ طَلُومٍ، وَعَامِلِ عَلَى الْأُمُورِ مِنْ بَيْنِهِمْ غَيْرَ رَحِيمٍ،
فَالْإِثْمُ الْحَاكِمُ فِيهَا تَنَازَعْنَا، وَالْقَاضِي بِحُكْمِهِ فِيهَا شَجَرْنَا، وَبَيْنَنَا
اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَا كَانَ مِنْنا تَنَافُسًا فِي سُلْطَانٍ، وَلَا
الِتِّمَاسًا مِنْ فُضُولِ الْحُطَامِ، وَلَكِنْ لِنَدْرَى الْعَمَلِ مِنْ دِينِكَ،
وَنُظْهِرَ الْإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ، وَيَأْمَنَ الْمَطْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ، وَيُعْمَلَ
بِفَرَائِضِكَ وَسُنَّتِكَ وَأَحْكَامِكَ، فَإِنَّكُمْ إِلَّا تَنْصُرُونَا وَتَنْصِفُونَا قَوِي
الظَّالِمَةَ عَلَيْهِمْ، وَعَمِلُوا فِي إِطْفَاءِ نُورِ نَبِيِّكُمْ، وَحَسْبُنَا
وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا، وَإِلَيْهِ أَنْبَيْنَا، وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ» [458].